نَواة الإيمَان

للإمَام العَلامة المحَقق

الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ

رحمهم الله وغفر لنا ولهم

والآية الثانية : قوله تعالى ﴿ ١٦ : ١٠٦ ، ١٠٧ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة - الآية** ﴾ فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، وأما غير هذا : فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل ذلك خوفاً أو مداراة . أو مَشَحَّة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض ، إلا المكرَه

فالآية تدل على هذا من وجهين :

الأول : قوله ﴿ **إلا من أكره** ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره . ومعلوم : أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل ، وأما عقيدة القلب : فلا يكره عليها أحد .

والثاني : قوله تعالى ﴿ **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا** ﴾ فصرح بأن الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر ، وإنما سببه : أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا . فآثره على الدين .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، وأعز وأكرم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء وصفوة المرسلين . محمد وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

قال الشيخ العلامة الموفق ، الصالح التقي المدقق : عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام وعلم الأعلام ناشر السنة ، وقامع البدعة بالسيوف والأسنة والأقلام : الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله رحمة واسعة . وجعلهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وجعلنا معهم برحمته وفضله :

إعلم - رحمك الله - أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته ، الجامعة لمعرفته ومحبته ، والخضوع له وتعظيمه ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، وإسلام الوجه له .

وهذا هو الإيمان المطلق ، المأمور به في جميع الكتب السماوية وسائر الرسالات النبوية .

ويدخل في باب معرفة الله : توحيد الأسماء والصفات ، فيوصف الله سبحانه بما وصف به نفسه من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوز العبد ذلك ولا يوصف الله إلا بما ثبت في الكتاب والسنة .

وجميع مافي الكتاب والسنة : يجب الإيمان به ، من غير تحريف ولا

الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز ﴾ .

ويدخل في الإيمان : إيمان العبد بتوحيد الإلهية ، الذي تضمنته شهادة الإخلاص ﴿ لا إله إلا الله ﴾فقد تضمنت نفي استحقاق العبادة بجميع أنواعها عما سواه سبحانه وتعالى ، من كل مخلوق ومربوب . وأثبتت ذلك على وجه الكمال الواجب والمستحب لله تعالى فلا شريك له في فرد من أفراد العبادة، إذ هو الإله الحق المستقل بالربوبية والملك والعز ، والغنى والبقاء . وما سواه فقير ومربوب ومعبد خاضع له ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً . فعبادة أحد سواه تعالى أظلم الظلم ، وأسفه السفه . والقرآن كله راد على من هدم توحيد الإلهية والعبادة ، فأشرك مع الله غيره ، في أي نوع من هذه العبادة ، مبطل لمذهب جميع أهل الشرك والتنديد ، آمراً وحاضا ومرغبا في إسلام الوجه لله وحده ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والتبتل له في عبادته .

ولفظ «العبادة» في أصل اللغة : لمطلق الذل والخضوع . ومنه طريق معبد ، إذا كان مذللاً ، قد وطّأته الأقدام ، كما قال الشاعر :

تبارى عتاق الناجيات ، وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مُورٍ معبد[1]

واستعملة الشارع في العبادة : الجامعة لكمال المحبة وكمال الذل

---

(١) الوظيف خف البعير ، وهو كالحافر للفرس . والمور : الطريق المعبد في الجبل ، سمى بذلك لأنه يضطرب فيه جيئة وذهاباً

تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . قال الله تعالى ﴿ ٢٠ : ٨ الله لا إلـه إلا هو ، له الأسـماء الحسنى ﴾فأسـماؤه كلهـا حسنى ، لأنها تدل على الكمال المطلق ، والجلال المطلق ، والصفات الجميلة .

فنثبت ما أثبته الرب لنفسه ، وما أثبته له رسوله ، ولا نعطله ، ولا نلحـد في أسـمائه ولا آياته ، ولا نشبه صفات الخالق بصفات المخلوق ﴿٤٢ : ١١ ليس كمثله شيء وهـو السميـع البصـير ﴾ ﴿ قل هو الله أحـد الله الصمـد . لم يلد ولم يولـد . ولم يكن له كفوا أحد ﴾ ﴿٢٠ : ١١٠ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً) .

فإن تعطيـل الصفـات عما دلت عليـه : كفر ، والتشبيه فيها كذلك كفـر . وقـد سأل رجـل مالـك بن أنس رحمه الله ، عن ﴿ الرحمن على العـرش استـوى ﴾فـاشتـد ذلـك على مالـك ، حتى عَلَتْه الرُّحَضاء إجلالاً لله وهيبة له من الخوض في ذلك ، ثم قال « الاستواء معلوم ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب . والسؤال عنه بدعة » يريد رحمه الله : السؤال عن الكيف .

وهـذا الجـواب : يقـال في جميـع الصفـات ، لأنـه يجمـع الاثبات والتنزيه .

ويـدخـل في الإيـمان بالله ومعرفته : الإيمان بربوبيته العامة الشاملة لجميـع الخلق والتكـوين ، وقيـوميتـه العـامـة الشـاملة لجميع التدبير والتسخـير والتمكـين ، فالمخلوقـات بأسـرها مفتقرة إلى الله في قيامها وبقائها ، وحركاتها وسكناتها ، وأرزاقها وأفعالها ، كما هي مفتقرة إليه في خلقهـا وإنشـائهـا وإبداعها . قال تعالى﴿ ٣٥ : ٧٦ ، ٨٧ يا أيها

يهدي به من يشاء من عبادته . ولو أشركوا حبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ .

والشرك : قد عرفه النبي ﷺ بتعريف جامع ، كما في حديث ابن مسعود : أنه قال « يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك » والند : المثل والشبيه[1].

فمن صرف شيئاً من العبادات القولية أو الاعتقادية . أو المالية أو العملية - لغير الله : فقد أشرك شركاً يبطل به التوحيد وينافيه ، لأنه شبه المخلوق بالخالق ، فأحبه كحبه ، وعظمه كتعظيمه ، وخافه كخوفه . ولهذا كان الشرك أكبر الكبائر على الإطلاق ، وكان محبطاً لكل عمل ، وكان محرماً الجنة على صاحبه ، والشرك فيه أسوأ الظن بالله . كما قال الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿٣٧ : ٨٥ - ٨٧ ماذا تعبدون ؟ أئفكا آلهة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين ؟ ﴾ .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : أي فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره . وماذا ظنكم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص ؟ حتى أحوجكم ذلك إلى العبودية لغيره ، فلو ظننتم به ما هو أهله : من أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه الغني

---

(١) وليس بلازم أن يكون مثيلاً وشبيهاً في كل الصفات والخصائص ، بل يكفي أن يجعل له بعض الصفات والخصائص ، فيكون بها نداً . وقد جعل الله من أحب متبوعه ومعتقده حب تعظيم وتقديس وخوف ، كحب المؤمن لله متخذاً من دونه نداً ، ومن تأمل حال متخذي الأولياء أنداداً من دون الله ، تبين له : أنهم أعطوهم من صفات الحياة والسمع والبصر والقدرة والرحمة والغنى وغيرها ما هو من أخص خصائص الرب سبحانه

والخضـوع ، وأوجب الاخـلاص لله فيها ، كما قال تعالى ﴿٣٩ : ٢ ، ٣ إنـا أنـزلنـا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الـدين الخـالص﴾ وهـذا هو التـوحيـد الـذي جاءت به كل الرسل ، ونزلت به جميع الكتب[1]

والعبادة إذا خالطها الشرك أفسدها وأبطلها . ولا تسمى عبادة إلا مع التـوحيـد الخـالص . قال ابن عبـاس « ما جاء في القرآن من الأمر بعبادة الله إنما يراد به التوحيد » ا هـ

ويـدخـل في العبـادة الشـرعيـة : كل ما شرعـه الله ورضيـه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة : من محبة الله ، وتعظيمه وإجلاله ، وطـاعتـه والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، ودعائه خوفاً وطمعاً ، وسؤ اله رغبـاً ورهبـاً وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهود ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمملوك والمسكين وابن السبيل وكـذا النحر والنذر ، فإنهما من أجّل العبادات ، وأفضل الطاعات . وكـذا الطـواف ببيتـه تعـالى ، وحلق الرأس نُسُكاً ، تعظيماً وعبودية . وكذا سائر الواجبات والمستحبات .

فحق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

والشرك في العبادة : ينافي هذا التوحيد . ويبطله . فإن الله تعالى فا ذكـر خواص أوليـائـه ومقـربي رسله قال﴿ ٦ : ٨٨ ذلـك هدى الله

---

(١) يشير إلى أن ما اشتهر عند المنتسبين إلى العلم : من كتب الكلام التي يذكرون فيهـا : العشـرين صفـة وأضدادها ، وتطويل الخوض في ذلك ، وما تفنن فيه أهل الجدل والكلام ، ليس هو توحيد الرسل الذي بعثهم الله به . فافهم وتدبر أرشدني الله وإياك .

ونعيمه : إنما هو في إفراد الله بهذه العبادة ، والإنابة إليه بما شرعه لعباده منها .

وأصلها : كمال المحبة ، وكمال الذل والخضوع ، كما تقدم . هذا سر العبادة وروحها ، ولا بد في عبادة الله من كمال المحبة مع كمال الخضوع .

فأحب خلق الله إلى الله ، وأقربهم منزلة عنده : من قام بهذه المحبة والعبودية ، وأثنى على ربه سبحانه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلا فمن أجل ذلك : كان الشرك أبغض الأشياء إلى الله ، لأنه ينقض هذه المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم ، ويجعل ذلك شركة بين الله وبين من أشرك به من الأنبياء أو الأولياء ، أو الملائكة أو الأشجار والأحجار . ولذلك لا يغفره الله أبداً لمن أصر عليه حتى مات ، لأنه يتضمن سب الله وتنقصه بالتسوية بينه وبين من اتخذ معه شريكاً في المحبة والتعظيم [1] وغير ذلك من أنواع العبادة . قال الله تعالى ﴿٢ : ١٦٥ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ، يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾ أخبر سبحانه : أن من أحب أحداً أو شيئاً دون الله حباً من جنس الحب الواجب لله - وهو الحب مع الذل والخضوع - فقد اتخذه نداً لله .

---

(١) ويستلزم ولا بد : اعتقاد أن هؤلاء الأنبياء والأولياء أبناء الله لأنهم - بزعم الصوفية - النور الذي انبثق وتولد من ذات ربهم . ولذلك فإن الله يقرر في آيات السور المكية التشنيع على الشرك والمشركين : التشنيع على من زعم لله ولداً . فتنبه لذلك جيداً تعرفه .

عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه ، لا يشركه فيه غيره . وأنه العالم بتفاصيل الأمور ، فلا تخفى عليه خافيةٌ من خلقه ، وأنه الكافي لهم وحده ، لا يحتاج إلى معين ، وأنه الرحمن بذاته . فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه . وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤ ساء فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ، ومحتاجون إلى من يعينهم على قضاء حوائجهم ، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة . فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة . لحاجتهم وعجزهم وضعفهم ، وقصور علمهم . فأما القادر على كل شيء ، الغني بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء . الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء : فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه : تنقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده ، وظن به ظنَّ السوء . وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر . وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح . انتهى [1] .

إذا عرفت هذا : فصلاح العبد وفلاحه . وسعادته ونجاته وسروره

---

(١) خصوصاً إذا عرف أن أساس اتخاذ الموتى وسائط : هو إعتقاد أنهم النور الذي انبثق من الله ، وأن أول خلق الله : الحقيقة المحمدية ، كما يعتقد ذلك كل الصوفية الذين هم الواضعون للوثنية وعبادة الموتى باسم الوسائط . فإنهم يقولون : إن ذات ربهم كالنواة ، وأن العالم خرج كله من هذه النواة ، كالنخلة وكل شجر . فالخلق مظاهرات لذات آلهم . وهذا هو أساس اتخاذ الأولياء وسائط من دون الله .

والنوع الثاني : محبة رحمة وإشفاق ، كمحبة الوالد لولده ونحوها . وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم .

والنوع الثالث : محبة أنس وإلف ، وهي محبة المشركين في صناعة أو علم . أو مرافقة أو تجارة أو سفر : بعضهم لبعض ، وكمحبة الإخوة بعضهم لبعض فهذه المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض ، ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله سبحانه . ولهذا كان الرسول ﷺ يحب الحلو والعسل . وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد ، وكان أحب اللحم إليه الذراع ، وكان يحب نساءه ، وكانت عائشة أحبهن إليه . وكان يحب أصحابه ، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنهم .

وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده ، والتي إن أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله : فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم ، وكمال الطاعة ، وإيثار رضا المحبوب على رضا غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا . وهي التي سَوَّى المشركين فيها بين آلهتهم وبين الله . وهي أول دعوة الرسل ، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة : اعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرب بها . فهي أول ما يدخل بها في الإسلام ، وآخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا إلى الله ؟ وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها ، وجميع المقامات وسائل إليها ، وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل . فهي قطب رحي السعادة ، وهي روح الإيمان ، وساق شجرة الإسلام ، ولأجلها خلق الإنس والجن ، ولأجلها أنزل الكتاب والحديد . فالكتاب هاد إليها ، ودال عليها ومفصل لها ، والحديد : لمن خرج عنها وأشرك مع الله غيره فيها

وهذا معنى قول المشركين لمعبوديهم يوم القيامة﴿ ٢٦ : ٩٧ ، ٩٨ تالله إن كنا في ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين ﴾ فهذه تسوية في المحبة والتاليه ، لا في الذات والأفعال والصفات[1] .

والآيات قبلها تدل على ذلك ، إذ يقول الله﴿ ٢٦ : ٩٤ - ١٠٢ فكُبكبوا فيها هم والغاوون . وجنود إبليس أجمعون . قالوا - وهم فيها يختصمون - تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كَرَّة ؟ فنكون من المؤمنين ﴾ كما حكي عنهم في سورة البقرة أيضاً﴿ ٢ : ١٦٣ إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذي اتَّبعوا : لو أن لنا كرة ؟ فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار ﴾ .

فمن صرف ذلك لغير الله الإله الحق : فقد أعرض عنه ، وأبق عن مالكه وسيده فاستحق مقته وغضبه . وطرده عن دار كرامته ، ومنازل أحبابه .

والمحبة ثلاثة أنواع : محبة طبيعية ، كمحبة الجائع للطعام ، والظمآن للماء . وغير ذلك . وهذه لا تستلزم التعظيم .

---

(١) وهي تسوية أيضاً في الطاعة والتوقير ، إذ كانوا قد شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله . فقدموا شرعهم الباطل على شرع الله الحق ، وأسلموا إليهم قلوبهم وأعمالهم ، مثل ما يسلم المؤمنون ذوو الألباب قلوبهم ووجوههم لله ولرسوله ولكتابه . وعقيدة فيض النور الأول : هي التي ولدت التسوية في العبادة والإلهية . والله أعلم .

بالنواجذ ، ويقبض فيه على الجمر ، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل ، ولا يطلب على فضله ، بل يجعل هو المطلب الأعظم ، وما سواه إنما يطلب على الفضلة .

والله المسئول أن يمن علينا بتحقيق ذلك علماً واعتقاداً وعملاً وحالا ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك مجرد حكايته .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه محمد النبي الأمي ، وعلى آله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه . واجعلنا منهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

ولأجلها خلقت الجنة والنار، فالجنة دار أهلها الذين أخلصوها لله وحده ، فأخلصهم لها . والنار دار من أشرك فيها مع الله غيره ، وسوى بينه وبين الله فيها .

فالقيام بها علماً ، واعتقاداً وعملاً وحالاً وتصحيحاً : هو تصحيح شهادة أن لا إله إلا الله .

فحقيق بمن نصح نفسه وأحبها ، وأحب سعادتها ونجاتها : أن يتيقظ لهذه المسألة أشد التيقظ ، وتكون أهم الأشياء عنده ، وأجل علومه وأعماله . فإن الشأن كله فيها . والمدار كله عليها . والسؤال عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم كل السلامة من أي علة ومرض من أمراض حب غير الله ، وتقديم طاعته ومرضاته على طاعته سبحانه ومرضاته .

قال تعالى ﴿ ١٥ : ٩١ ، ٩٣ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ قال غير واحد من السلف : هو السؤال عن قول « لا إله إلا الله » وهذا حق . فإن السؤال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها .

قال أبو العالية : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟

فالسؤال عن « ماذا كانوا يعبدون » هو السؤال عنها نفسها . والسؤال عن «ماذا أجابوا المرسلين» هو السؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إلى تحقيقها ، هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها ، أم لا ؟ فعاد الأمر كله إليها .

وأمرٌ هذا شأنه : حقيق بأن تُثْنَى عليه الخناصر ، ويعض عليه

دار الثقافة للطباعة

DAR ALTHACAFA PRINTING PRESS

مكة المكرمة / الزاهر / هاتف ٥٤٢٥١٩٢ / ٥٤٤٨٥٤٦